كتاب في السياسة

تأليف الوزير الكامل أبي القاسم الحسين بن علي المغربي

عني بنشره وتحقيقه وتعليق حواشيه سامي الدهان دكتور دولة في الآداب من باريس

[illegible] على أن أبعاً [illegible] منك [illegible] أن أعرض [illegible] وقد أتت [illegible] شيئاً عرفه المتصدون [illegible] [illegible] ما أرشده [illegible] . وأنت [illegible] الرغبة [illegible] وتحدث في [illegible] .

[illegible] يصنعه أن [illegible] [illegible] التصرح [illegible] الى القد [illegible] اليوم [illegible] أن [illegible] أو [illegible] أو [illegible] أصلية لا [illegible] .

[illegible] أن [illegible] عنك [illegible] يعرف [illegible] . وأنت [illegible] [illegible] له . ثم [illegible] كتابه [illegible] التعريف [illegible] كد [illegible] .

[illegible] أعرف [illegible] [illegible] فإن [illegible] أن [illegible] [illegible] .

[illegible] الصديق [illegible] إليها [illegible] من [illegible] إلا [illegible] أن هذا [illegible] راضياً [illegible] أبيته [illegible] وأخرج للناس [illegible] .

وآثر أن يجعل له في مصر إقامة ثانية في الصيف والشتاء. فحق لي أن أسأل الصديق علماً بعلمه وان تكون إجازته وما نال واسعة ناعمة.

أتراني جاوزت أم أن كثير منك قليلة، وناشر صفحة لأزهر إزاءها صفحات نقرأ فيها المجد والأدب والمثابرة.

أما عن هذا الكتاب فقد كنت موعوداً به حين ودعني الدكتور سامي الى دمشق في صيف العام الفائت ثم مضى وما جاءت الكتاب وما فاتني قدره. فهو للوزير المغربي في أجل ما صدر عنه. أراه صفحة يجد منها الساسة يستقيم لهم الأمر. فيصرم ما عليهم لأنفسهم، وما عليهم لخاصتهم، وما عليهم لعامتهم.

وحكمة ذلك أنا كاشف لك عنها في إيجاز.

« فالسائس الفاضل إنما يصلح نفسه أولاً ثم يصلح بسياستها خاصته وما يحملها عليه من الآداب الصالحة لرعيته فيفيض الصلاح وتصير استقامة على الطريق ».

والمؤلف بعد هذا يفصل ما أجمل، ويرد الأمثلة ويحجج في أسلوب أدبي جذاب خذ منه ما شئت وليس يسألك من خصص عرضه بعض علمه ويدع الباقي للبادئ البعيد، إذا لم يسترك عاجلاً، فكل الصيد يغتنم من الدنف، فهو تصوير في إيجاز لما تعانيه في فساده في الجملة.

هذا نمط للمؤلف في التعبير يحكى فيه كتاب جده ابابة، امثال ابن المقفع. أما أنه أدنى أو أبعد فرد الأمر فيه الى مقدمة مؤلفه قدم بها الدكتور سامي لكتابه. قال فيها عن المؤلف كثيراً، بين نقل ودر وما أظن القارىء في غنى عن أن يلم بها.

ويسرني أن أضم إلى هذه الناحية عن فهم الرجل لسياسة، وقد يظن برأي القديم الظنون، وقد يُرى أن من الخير أن نبقى على صلة الحاضر بالماضي. يقول الوزير المغربي: ثم يتفقد مدينته بل بلاده كلها، بضبط طرقها وبرودها ويحلها ويخرج منها ما يرفق على الكتب المختلفة إلى أهلها من الثمار والحبوب. ثم مدينته ضبط الرجل بالرعية ضبط لا يخرج شيء إلا بإذنه ولا يدخل إلا بإذنه. ويقول في موضع آخر: وأما قائد الجيش فيكون شجاعاً بارعاً بارزاً مقدماً ذا حظ من الرأي والمكيدة، عالماً بمعرفة أحوال الجند والمحاربين وبرتبهم وقدر كل واحد منهم وباب كل باب في أكثر الأوقات بالعدد التامة والعدة الكاملة، مرهب بذلك رسل الملوك وجواسيس الأعداء».

هذا طرف من توجيه المؤلف والكتاب مملوء بمثل هذه الخبر عن أساليب السياسة حينذاك. وما نحن من الأساليب بسبيل ذات صلة أو شبه وصلة.

وعمن إذ نذرس هذا لننتفع به أكثر ما ننتفع في وصل قديم الأدب بحديثه . وما أحوج كل من أو فن لهذا ونحوه .

هذا هو المغربي المؤلف . وأما عن الدهان الناشر . فقد عرفت مني مقدمته الكتاب أريد أن أزيدك عليها ملحقاً أضافه جمع فيه تراجم المغربي من كتب الأدب والتاريخ . وقد أحصيت له في ذلك ستة عشر مرجعاً ، ثم ضم إليها فهارس مختلفة كشفت عن الكثير مما يحتاج إليه القارىء .

وإذا شئت أن تعرف أين طبع كتابه هذا فاذكر المعهد الفرنسي بدمشق وسالف جهده في إخراج أبي فراس لتعرف نشاط هذه المؤسسة وجميل آثارها .

وإني إذ أشكر للدكتور الدهان جهده المرموق أسأل الله له عوناً جديداً لتحقيق ما وعد من نشر مخطوطات بين يديه تتصل بالعصر العباسي وتكشف عن جوانب فيه .

[illegible]

ماضي الشرق صخراً

الأستاذ محمد سعيد العريان — ٢٢٧ صفحة من القطع [illegible] — [illegible]

هذه قصة يقصها الأستاذ الشاعر الأديب محمد سعيد العريان عن بطل من أبطال العرب اسمه سليك شغف بابنة أحد رؤساء العشائر المعادية له فخطبها أبوها إلى سليك فرضي وتمت الخطبة ابن عم الفتاة زيد يهواها ويثير زواجها حفيظته ويروح يخطبها لنفسه . ولها صديقة اسمها سلمى يهواها أخوها خالد ولكنها تهوى سليكاً وتشجعه على الخطبة . فتقع هذه العواطف المتباينة ويدس زيد لسليك سليك كميناً ليغتاله فتدبيره ، ثم يعود ليخبر أهل سليك ويعرف لهم الخبر الكاذب فيهبون إلى مطاردة ريشة بن أبيه ويسارعون إلى سفك دمه ليستطلعوا خبره فيظفر أعداؤه بمقتله فيثأرون منه لمقتلهم ثم يوقن زيد أنها كانت تحبه فيحجم عن [illegible] بل [illegible] من سراحها وتتجلى الحقيقة بعد [illegible] الخاتمة .

هذه القصة [illegible] بالحوادث والعواطف والمناظر [illegible] يسترسل بطبيعته وفيها الحق وحقه وعصبيته فيها كيد وحرب وثأر . وقد [illegible] يستعرضها مسرعاً في نثر سهل فياض حتى إذا وقف مواقف العاطفة الملتهبة انتقل من النثر إلى الشعر يقوله من السهل الممتنع تعد من أرق الشعر وأبلغه . وهذه أول مرة في اللغة العربية تمزج في

القصة المشاهد المسرحية بسياق القصص . ولعمري لا يتاح مثل هذا المزج إلاَّ لمن كان كاتباً متفوقاً وشاعراً متفوقاً . وفي الأنشودة التي نظمها المؤلف لتغنى في حفل زواج بطل القصة مثال من أمثلة هذا الشعر الرائع :

اليوم زفٌّ الى الجمـا ل الفضل والشرف الرفيع
اليـوم تمّ الحسن إذ زفّ البديع الى البديع
إن زانها حسن الأثرة زانه بأس الرجـال
فبهاؤهـا وجماله اجتمعا ليكتمـل الجمـال
إنـ يأمرا أمراً يطأ طيء صاغراً لها الزمان
من حينه توجو الأمـا ن ومن لواحظها الأمان

وشعر القصة كله على هذا المثال البديع من الصفاء والسهولة وتجاري هذه القوة في النظم قوة الحوار وقصوره وتتابع الأجوبة والأسئلة، ولا عجب في هذا فان المؤلف يجمع بين الأديب والمحامي فهو يعرف كيف يهاجم خصمه ويدفع حجته، وهو يعرف مكامن الضعف في النفوس البشرية فيدخل منه عليها . وينال منها . ويسعفه خيال الأديب والشاعر ليلبس شخصية كل بطل من أبطال قصته ويجري على لسانه ما يعبر به عن شعوره وأفكاره .

وبعد فالقصة تجري حوادثها في عهد الحسين بن علي رضي الله عنه كما أشار المؤلف الى ذلك . وانما ذكرت هذا لأدل على أن ازدحام الحوادث منع من تصوير ذلك العهد والتوسع في وصف البيئة والعادات . ولو ذهب المؤلف اليه لطالت القصة طولاً وضاقت ضيقاً قد يمل عامة القراء، وقد لا ترضى عنه خاصتهم، ووددت في بعض اجتماعات أشخاص القصة لو لم يدخل « الخادم يحمل إناء يغص بأقداح من القهوة » لأن القهوة لم تكن أيامئذ معروفة في الحجاز، كما وددت أن زيناً ابن عم الفتاة لم يغادر المدينة المنورة الى الشاكية وحلب لأن في سفره اقتضاباً يضعف السرد ويشتت ذلك ذهن القارىء . ووددت أيضاً لو لم تجر بعض تعبيراتنا العصرية على لسان بعض أشخاص القصة كالجمال المثالي والضحايا وما شاكل هذا من معان لم يألفها العرب لذلك العهد .

ان هذه الهنات لا تمس جوهر القصة ولا تضعف حبكها وسردها واشراق ديباجتها وبراعة شعرها وانني اذ أهنىء الأخ الكريم الأستاذ الشرباشي على قصته هذه أرجو أن يتحفنا بتمثيلية شعرية في قوة المشاهد التي أدارها ادارة بارعة ولعله مجيب باذن الله .

خليل مطران